مفهوم الحرية عند الوجوديين ونقد الدكتور البوطي لهم
(وهذا البحث مستل من أطروحة الدكتوراه)
الأفكار المادية المعاصرة وموقف محمد سعيد رمضان البوطي منها
(دراسة تحليلية)

The concept of freedom among the existfntialists and Dr. Al- boutis criticism of them
((An analytical study

المشرف: أ.د. إسماعيل محمد جلال

جامعة السليمانية- كلية العلوم الإسلامية- قسم التربية الدينية

Ismail jalal@ univsul.iq

الطالب : صباح عبدالرحمن أحمد

جامعة السليمانية- كلية العلوم الإسلامية- قسم الدراسات الإسلامية

Sabah Abdalrahman Ahmed
Phd student at the Universiy of
College of Islamic Sciences/ Sulaymaniyah
Under the supervised Sharif
Ismail mohammed jala
College of Islamic Sciences / University of Sulaymaniyah
Malasbah668@gmail.com

٠٧٥٠١٤٩٣٠١٣

ملخص البحث:

لمفهوم حرية الإنسان معنى يختلف من عصر إلى عصر، فعند علماء السلف الذين خاضوا في المسألة، كانت تعرف بمسألة التسيير والتخيير، وفي العصر الحديث تناولها العلماء تحت اسم مسألة حرية الإنسان، ولكل فئة رأي خاص بهم، وقد تكلم فلاسفة الوجودية عن الحرية أيضا حتى قالوا: الحرية هي جوهر الوجود المادي للإنسان، وفي هذا البحث سيتم مناقشة هذه الفكرة بالذات، ثم يأتي بعد ذلك رد الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي– رحمه الله تعالى– عليها، ونقده لها، جنى نصل بالبحث إلى النتيجة، هل حقيقة أن الحرية هي جوهر الوجود المادي للإنسان أم لا؟.

Summary in English :

The term freedom according to the axistentialists, and Dr.Al Boutis criticism of them. This research in cludes a quick in tellectual view by Dr. Al-Bouti of the concept of freedom, and axplains that a parson must be free and live freely within the framework of the law and religious rules sacred to Islamic law, without encroaching on the freedom, of others, contrary to materialistic ideas, especially the thought of existentialists who say that a person must have freedom. Generally divorcedwithout regard to religious and social laws, However this research answers the doubts and suspicions created by the existential thought of man, who is convinced that anxiety anddespair must always be with man .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا وحبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين:وبعد: فإن الحرب بين الإسلام وأعدائه لم تضع أوزارها بعد، وإنما الحق أن أعداء الإسلام يضعون لحربه كل يوم وسيلة، ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة، وليس خطر الغزو الفكري بأقل من خطر السلاح في المعركة التي يشنها أعداء الإسلام وأهله. ولقد كان العالم قبل الإسلام يموج بدعوات وتيارات فكرية هدامة، ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام وفيه البيان الشافي لكل ما يحتاجه البشر لتحقيق وظيفتهم على الأرض، وهي عبودية الله تعالى، وتحصيل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فكانت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة من الله للناس لتخليصهم من تلك الجاهليات التي جثت على قلوبهم ولوثت أفكارهم دهراً طويلاً، قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] سورة الأنبياء:(١٠٧).ولقد اختار الله هذه الأمة لحمل راية الإسلام، والوقوف في وجه الباطل، ودحض الشبهات، وكشف الزيوف. ولا ريب أن الإسلام بمفهومه الصحيح، مازال وسيظل –بإذن الله – صامداً أمام الأحداث، ومواجهاً لكل الأفكار، والمذاهب المتنوعة، حتى يتضح وجه الحق، ويكشف زيف الباطل. وكان في هذا المجال والميدان مفكرون كثيرون قديما وحديثا للرد على الأفكار الباطلة والزائغة، فأحببت أن أسلط الضوء على عالم من علماء الأمة، وأنقل آراءه الفكرية في مواجهة الماديين المعاصرين بشكل خاص، فوقع اختياري على الشيخ(محمد سعيد رمضان البوطي)، –رحمه الله تعالى– لما كان له باع طويل و يد عليا، للرد على الأفكار اللادينة وأوهامهم، وكان عبقرية فذة, وبصيرة نافذة، تمثلت فيه شجاعة نادرة, وحكمة بالغة أيقظ الناس وأضاء لهم الطريق إلى الإسلام الصحيح .. الذى رد إليه اعتباره بعد أن صحح مفاهيمه، حتى لقي ربه شهيدًا، وخاب ظنهم فى اغتيال فكره، وجهلوا أن الفكر لا تغتال بسلاح مادي لأنها أقوي من المادة، ولكن لا يستطيع – مهما تفنن في أساليبه – أن يتمكن من القلوب والوجدانات والمشاعر التي هي المكان الطبيعي للفكرة القائمة على الإيمان بالله والثقة فيه , والاطمئنان إليه.وإنه في العصر الحديث ما ابتُليت الأمة بشيء بعد ضعفها الديني والدنيوي بأسوأ من التيارات والأفكار المادية الحديثة المختلفة، فقد أعاقت هذه التيارات نهضة الأمة الحقيقية، ولوثت الجو الفكري في العصر الأخير. ومن أخطر المشكلات الفكرية الحديثة ما وقع من انحراف تيارات فكرية مادية بالعلم، فقد نشأ العلم الحديث قريبًا منها، فقامت هذه التيارات باستغلاله ومحاولة توجيه نظرياته والتأثير في مسيرته بما يخدم رؤيتها المادية.الأمر الذي يقتضي أن نبين نقض ونقد الدكتور البوطي–رحمه الله تعالى– لتلك الأفكار المادية، ومن ضمنها الفكر الوجودي، باعتباره شخصية قوية وعلمية ومؤثرة في المجتمع.

خطة البحث:

والبحث موزع على تمهيد وأربعة مطالب مع مقدمة وخاتمة وثبت المصادر والمراجع:

مفهوم الحرية عند الوجودين ونقد الدكتور البوطي لهم.

تمهيد:

لمفهوم حرية الإنسان معنى يختلف من عصر إلى عصر، فعند علماء السلف الذين خاضوا في هذه المسألة، كانت تعرف بمسألة الجبر والاختيار، ثم تطورت فيما بعد إلى ما يسمى بمسألة التسيير والتخيير، وفي العصر الحديث تناولها العلماء تحت اسم حرية الإنسان، ولكل فئة رأي خاص بهم، وقد تكلم فلاسفة الوجودية عن الحرية أيضا حتى قالوا: إنها جوهر الوجود المادي للإنسان، وفي هذا المبحث سيتم مناقشة هذه الفكرة بالذات، ورد الدكتور البوطي- رحمه الله تعالى- ونقده لهم, حتى نصل بالبحث إلى النتيجة، هل أن الحرية هي جوهر المادي للإنسان حقيقة أم لا؟.

المطلب الأول: التعريف بالدكتور البوطي.

ومن الشخصيات التي برزت في القرن العشرين العالم الكبير الشيخ الدكتور(محمد سعيد رمضان البوطي)، وحياة العالم مليئة بالأسرار، ووصول هذا العالم الجليل إلى مكانة علمية معروفة بين سائر الأوساط العلمية لا يأتي من فراغ، بل كان لأسرته أثر في ذلك، فقد استطاع هذا العالم الرباني أن يتصدى للأفكار المنحرفة والإلحاد ورد شبهاتهم في القرن العشرين، وسأقف على أهم جوانب الحياة في الفترة التي عاش فيها الشيخ البوطي، وأوضحه في الفقرات التالية:

أولا: اسمه: هو الشيخ محمد سعيد بن رمضان بن عمر بن مراد البوطي، والده العالم الفقيه الداعية الشيخ رمضان المولود عام(١٨٨٨م)، في قرية صغيرة اسمها(جيلكا) تابعة لجزيرة بوطان، والمتوفي عام(١٩٩٠م)، وكان يلقب بملا رمضان حتى ظن الناس أن اسمه ملا، وأن رمضان كنيته، فكانوا يقولون عنه: شيخ ملا.وملا لقب ديني معروف في بلاد العراق والشام، ومعناه العالم بكتاب الله تعالى، والبوطي نسبة إلى جزيرة البوطان في كردستان تركيا القريبة من الحدود السورية.

ثانيا: نسبه: والشيخ محمد سعيد ينحدر من أصل كردي ومن أبوين كرديين، وكان والده يريد أن يسميه (محمد فضيل) تيمنا وتبركا بـ(فضيل بن عياض)، الذي كان شديد الحب له والتأثر بحياته، وبالفعل سماه بذلك في اليوم السابع من ولادته، بيد أنه عدل ذلك وسماه (محمد سعيد) تلبية لرغبة الشيخ الذي حنكه ودعا له، وطلب أن يكون هذا الطفل سميا له، (فلقد ذهب ملا رمضان بعد أن رزق بهذا الطفل إلى الشيخ(محمد سعيد)، المشهور بلقب (شيخ سيدا)، والذي كان يعتقد فيه الصلاح والتقوى، ليدعو ببقائه والبركة فيه، ذلك أنه لم يعش له طفل، فما يرزق بطفل حتى حتى يتخطفه الموت من بعد حين، وهو ما أزعج أبويه، ولكن شاء الله أن يعيش هذا الطفل حتى جاوز الثمانين من عمره)، هذا والدي: د. البوطي، ١٩٩٥م، ص٢٣، وشخصيات استوقفتني: د. البوطي، سنة ٢٠٠٨م، ١٩، ووالدته اسمها منجى، وهي من أقرباء والده

ثالثا: مولده ونشأته العلمية: ولد عام (١٩٢٩م) – (١٣٤٧هـ) في قرية صغيرة تقع على ضفاف نهر دجلة اسمها(جيلكا)، من والدين صالحين كريمين معروفين بالصلاح والتقوى، التحق بمدرسة ابتدائية في منطقة ساروجة، لكن تلقيه للعلم لم يقتصر على جهد المدرسة فقط، بل كان لوالده الدور الأهم والأبرز، وعن تلقيه العلم في تلك المرحلة يقول الشيخ(كان أبي بعد ذلك هو معلمي الأوحد، علمني أولا مبادئ العقيدة الإسلامية، ثم علمني موجزا من سيرة سيدنا رسول الله(ص) من خلال رسالة صغيرة اسمها (ذخيرة اللبيب في سورة الحبيب)، ثم أخذ يعلمني مبادئ علوم الآلة من نحو وصرف، وسلكني في طريق حفظ ألفية ابن مالك في النحو، فكان يفسر لي كل يوم خمسة أو ستة أبيات منها، وكان علي أن أتقنها بعد ذلك حفظا في بياض ذلك النهار. فأذكر أنني حفظت الألفية كلها خلال أقل من عام، ولم أكن قد ناهزت البلوغ بعد، وفي تلك الفترة حفظني والدي نظم الغاية والتقريب للعمريطي في الفقه، وهي ألف ومائتا بيت، توفيت والدته وله من العمر ثلاثة عشر عاما، فتزوج والده من زوجة أخرى، من أسرة تركية فاضلة، فكانت سببا في إلمامه باللغة التركية بالإضافة إلى اللغة الكردية والعربية.بعد انقضاء المرحلة الابتدائية التحق بجامع(منجك) عند الشيخ حسن حبنكه الميداني، ويتحدث الشيخ عن هذه المرحلة بالقول:(أقبل إلي ذات يوم قبل أن يمضي بي فيسلمني أصغر تلميذ إلى شيوخ معهد التوجيه الإسلامي، ينصحني ويحدثني عن آماله التي يعلقها علي، وقال لي فيما قال: اعلم يابني أنني لو عرفت أن الطريق الموصل إلى الله يمكن في كسح القمامة من الطرق، لجعلت منك زبالا، ولكني نظرت فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله هو العلم به وبدينه، فمن أجل ذلك قررت أن أسلك بك هذا الطريق، ثم شدد علي وأكد كثيرا، أن لا أجعل قصدي من دراسة هذا العلم أي شهادة أو وظيفة، بعد أيام مضى بي إلى دار الشيخ حسن حبنكة – رحمه الله تعالى- وتركني أمانة بين يديه وفي معهده، ومضى عائدا إلى شأنه، ومنذ ذلك اليوم انقطعت عن الدار، وأصبحت طالبا داخليا في معهد التوجيه الإسلامي، وكنت أتردد لرؤية والدي أيام الثلاثاء فقط من كل أسبوع، أبقى عنده بياض ذلك النهار، حتى إذا أقبل المساء استأذنته عائدا على (منجك)، كنت أشترك مع الطلبة الكبار في الجلوس إلى دروسهم التي يتلقونها من الشيخ دون أن أعي منهم إلا النزر القليل، ولكني تبينت بعد ذلك

أن حضوري كان مفيدا، وفي أيام الثلاثاء كنت أتلقى على والدي مزيدا من الدروس تلقيت عليه دروسا في النحو وفي البلاغة، وقد حفظت على يديه (عقود الجمان) للسيوطي، كما درست عليه كتبا في المنطق، والمقولات العشر، ودرست عليه شرح جمع الجوامع في الأصول) وفي تلك الفترة تقدم للخطابة وصعد المنبر ولم يكن قد تجاوز بعد السابع عشرة من عمره، وذلك في أحد مساجد الميدان القريبة من جامع(منجك)، رغبه بعض أساتذته في حفظ القرآن الكريم وشجعوه على ذلك، وبالفعل فقد استجاب وبدأ بالحفظ، ولكن والده– رحمه الله تعالى– على الرغم من أنه يبين له عظيم الأجر الذي ينتظر حافظ القرآن، فقد حذره من الوزر والإثم اللذين يلحقان بمن حفظ القرآن الكريم ثم ينساه، فتوقف عن مواصلة حفظه، لكنه غدا بعد ذلك من المكثرين لتلاوته، حتى إنه كان يختم في كل ثلاثة أيام ختمة، فكان من نتيجة إكثاره تلاوة القرآن الكريم حفظه للعديد من السور مع استحضاره لجل السور ومواضع الآيات فيها، من دون أن يقوم بأي جهد للقيام بحفظ شيء منها على الطريقة التقليدية التي يتبعها من يريد أن يحفظها شيئا من القرآن الكريم، وكان لإكثاره من تلاوة القرآن الكريم في تلك الفترة الدور البارز في اهتمامه الأدبية وتمتعه بالسليقة العربية، والبلاغة التي تتجلى في أحاديثه وكتاباته) تزوج وهو في الثامنة عشر، وله من الأولاد ستة ذكور وبنت واحدة، وفي هذه الفترة أصبح مولعا بقراءة الكتب الأدبية لأدباء معاصرين وغابرين، وفي عام(١٩٥٢م) ظهرت أولى أعماله وهي مقالة بعنوان(أمام المرأة)، نشرتها له مجلة التمدن الإسلامي، ثم تبعتها في المجلة ذاتها مقالات أخرى، لكن باكورة أعماله الأدبية بحق كانت قصة ترجمها من اللغة الكردية، وهي المعروفة باسمها الكردي(ممو زين)، وهي قصة تمثل الحب العفيف والعاطفة الملتهبة والوفاء النادر، وقد أفرغها المترجم في بيان عربي مشرق وبنيان قصصي جذاب، ولا تزال طباعتها تتوالى، وفي عام(١٩٥٣م) أتم دراسته في معهد التوجيه الإسلامي، الذي كان قد تحول حينئذ إلى معهد شرعي نظامي، وذلك قضى ست سنوات في جامع(منجك) عند الشيخ حسن حبنكة، وفي عام(١٩٥٤م) ذهب إلى القاهرة لاستكمال دراسته الجامعية في الأزهر، ويتحدث عن تلك المرحلة، وخاصة عن تجربته الأدبية(ولما أنهيت دراستي الثانوية وشيئا مما فوقها وتحولت إلى الأزهر لاستكمال دراستي الجامعية فيها، كنت أرسل من القاهرة في كل أسبوع مقالا أدبيا أو اجتماعيا إلى جريدة الأيام التي كان يصدرها المرحوم(نصوح بابيل) تحت عنوان(أسوع إلى إسبوع) كان ذلك خلال عام(١٩٥٤م – ١٩٥٥م).عاد إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة في الشريعة كلية بالأزهر عام(١٩٥٥م)، ثم حصل على دبلوم التربية من كلية اللغة العربية في الأزهر عام(١٩٥٦م)، عين مدرسا للتربية الدينية في(حمص) عام(١٩٥٨م)، أصبح معيدا في كلية الشريعة بجامعة(دمشق)، فموفدا إلى القاهرة لنيل درجة الأستاذية– الدكتوراه– في الفقه وأصوله، وكانت أطروحته كتاب(ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية) نال عليها مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالتبادل.وفي عام(١٩٧٥م) عين مدرسا في كلية الشريعة جامعة دمشق، فأستاذا مساعدا فأستاذاً، وعين في(١٩٧٥م) وكيلا للكلية، ثم في عام(١٩٧٧م) عين عميدا لها، ثم رئيسا لقسم العقائد والأديان، وقد بقي محاضرا حتى آخر لحظة من حياته بوصفه متقاعدا ومتعاقدا مع الجامعة خلال هذه الفترة وحتى عام(١٩٨١م) كان بعيدا عن المحافل العامة، ومكتفيا بالحقل الأكاديمي بالأضافة إلى درسين أسبوعين في مسجد (السنجقدار) يستقطب الكثير من شباب دمشق وما حولها، ثم انتقل بسبب ضيق المكان إلى مسجد(تنكز) فمسجد(الإيمان)، ودروس أخرى في مسجد والده الشيخ ملا رمضان البوطي، والجامع الأموي، ومن أبرز هذه الدروس شرحه للحكم العطائية

رابعا: الدكتور البوطي بين مادحيه وناقديه. وبعد عام(١٩٨٥م) ربطت بينه وبين الرئيس الراحل(حافظ الأسد) علاقة شخصية عند ما طلب الرئيس اللقاء بالدكتور(البوطي) إثر قراءته لبعض كتبه، وأصبح يستدعيه بين الحين والآخر في جلسات طويلة قال بعض العلماء: علماء السنة مثل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، ولكن قال الآخر وندعو الأستاذ الرفاعي وزميله البوطي إلى الرجوع إلى الحق، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والله يتوب على من تاب وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: افترى علينا الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة(ص٣٢٤) فقال مانصه:(فقد ضل أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله، وراحوا يستنكرون التوسل بذانه بعد وفاته...) كلا ثم كلا، (فنحن ولله الحمد من أشد الناس تقديرا لرسول الله وأكثرهم حبا له، واعترافا بفضله وإن دل هذا الكلام على شيء فإنما يدل على الحقد الأعمى الذي يملأ قلوب أعداء الدعوة السلفية على هذه الدعوة وعلى أصحابها، حتى يحملهم على أن يركبوا هذا المركب الخطر الصعب، ويقترفوا هذه الجريمة البشعة النكراء، ويأكلوا لحوم إخوانهم المسلمين، ويكفروهم دونما دليل، أللهم إلا الظن الذي هو أكذب الحديث، كما قال النبي الأكرم ولا أدري كيف سمع هذا المؤلف الظالم لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم الذي لا يستطيع إصداره إلا الله – عز وجل – المطلع وحده على خفايا القلوب ومكنونات الصدور، ولا تخفي عليه خافية)

خامسا:وفاته واستشهاده: مساء يوم الخميس الواقع في ٢١/ آذار/ ٢٠١٣م، الموافق ٩ جمادى الأولى من عام(١٤٣٤هـ)، وذلك خلال إعطائه درسا في تفسير القرآن الكريم الذي يلقيه على العامة وطلاب العلم الشرعي في مسجد الإيمان بحي المزرعة في دمشق، وبحسب الرواية الرسمية للنظام السوري فإن تفجير انتحاريا أدى إلى مقتل الشيخ البوطي واثنين وأربعين شخصا من بينهم حفيده أحمد بن محمد توفيق البوطي، وأصيب أربع وثمانون شخصا بجروح، وهذه الرواية وقع فيها جدل كبير بين مؤكد لها مثل نجل الشيخ البوطي محمد توفيق الذي أكد أن والده قتل بسبب تفجير نفذه انتحاري، وهناك من قال إنه أغتيل بالرصاص واتهم النظام في الوقوف وراء عملية الاغتيال، وتبادل كل من النظام وقوى الثورة المعارضة الاتهامات عن مقتل الشيخ البوطي..وخرجت دمشق عن بكرة أبيها تودع عالمها، ولم تر الأعين جنازة مثلها، وقد شيع جثمان الشيخ البوطي، يوم السبت(٢٣/ ٣/ ٢٠١٣)، بعد أن صلى عليه في المسجد الأموي ابنه محمد توفيق، ودفن في جوار الشهيد(صلاح الدين الأيوبي)، عن عمر ناهز ٨٤ سنة، في خدمة العلم الشرعي وكتاب ربه وسنة نبيه(صلى الله عليه وسلم). وقد أدانت قتل الشيخ البوطي هيئات دولية ومنظمات إقليمية ودول وحركات وجماعات إسلامية وعلماء الأمة الإسلامية، على الرغم من موقف الشيخ البوطي الرافض للثورة. وفي الختام فقد خاض الناس في وفاة ومقتل الشيخ البوطي– رحمه الله تعالى– بين من قال عنه بأنه شهيد المحراب، وأعطاه الله تعالى حسن الخاتمة، وشبهوه بمن قتل في المساجد من المسلمين كالخليفة الثاني عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– وبمن سال دمه على مصحفه كالخيفة الثالث عثمان بن عفان– رضي الله عنه– وكمن قتله الخوارج كالخليفة الرابع علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه– وهناك من رأى أن ما حدث له سوء الخاتمة، والعياذ بالله تعالى.

المطلب الثاني مفهوم معنى الحرية

مفهوم الحرية من المفاهيم الني تكثر فيها الاختلاف، لأنها محاطة بكثير من الغموض والاضطراب، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تنوع المجالات التي تستعمل فيها مصطلح الحرية.فمصطلح الحرية حاضر عند علماء السياسة والاجتماع، وحاضر في كتب علماء النفس والإحلاق، وموجود عند الفلاسفة وعلماء الأديان، وعند علماء التصوف وأربابه، ولكل واحد منهم رؤيته الخاصة في التعاطي مع مصطلح الحرية، لذا كانت الرؤية حول هذا المصطلح رؤية ضبابية غامضة ومتداخلة، وتحمل كما كبيرا من القلق والغموض. وقد ذكر الباحثون الغربيون أكثر من مائتي تعريف لهذا المصطلح ومتى كانت المصطلحات عامة وغير مخصوصة وغير دقيقة تحولت إلى مشكلة بلا حل أو معضلة أو إشكالية معرفية كبيرة يعسر على الباحث الوصول معها إلى نتيجة نافعة، أو تعريف يسلم من المعارضة، ولا عجب بعد ذلك أن تسمع من بعض الباحثين من يوصف مفهوم الحرية بأنها من أهم المشكلات التي استعصت معالجتها على جميع علماء الفلسفة والأخلاق، على اختلاف مذاهبهم قديما وحديثا، أو يصفها آخر بأنها معضلة بلا حل أو مأزقا فكريا

المطلب الثالث تعريف الحرية لغة واصطلاحا

أولا: الحرية لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة وقواميسها للبحث عن تعريف الحرية لن بجد الباحث إلا في(باب الحاء والراء) معنى للحر، لأن الحرية من المصطلحات المعاصرة، وأقرب مصطلح استخدم قديما يفيد معنى الحرية هو مصطلح الاختيار، لذا سوف أبحث عن تعريف الحرية في المعاني التي استخدمت كلنة الاختيار والإرادة خاصة عند المتكلمين الذين كانت أكثر استعمالاتهم لكلمة الجبر والاختيار.

فالحُرُ بالضم: تقيض العبد، والجمع أحرارٌ، وحِرارٌ، والحرة: نقيض الأمة، والجمع حرائرُ.الحر من الرجال خلاف العبد، ويسمى حراً لحلوصه من الرق، وهو مأخوذ من قولهم: رجل حُرٌ إذا خلص من الاختلاط بغيره، والحر من الناس: أخيارهم وأفضالهم، والحرة: الكريمة من النساء ويقال:(حررت القوم إذا أطلقتهم وأعتقتهم عن أسر الحبس، والتحرر جعل الإنسان حرا والحر خلاف العبد) (١).ولفظة الحرية لم ترد في القرآن الكريم، بل ورد فيه مشتقاتها، مثل:(تحرير، والحر، ومحرر) في ثلاث آيات ومنها مثلا قوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ] سورة النساء:(٩٢). إذاً يمكن القول بأن لمعنى الحرية معاني كثيرة بالإضافة إلى المعنى السابق ومنها مثلا تأتي بمعنى الشرف والفضل، وبمعنى الخالص النقي، والحسن والجمال والكرم، وبمعنى الرقة واللين والشيء الرطب، وبمعنى الضبط والتدقيق منه، وعند التحقيق تجد أن المعاني السابقة بينها قدر كبير من التشابه.تتبئ كلمة الحرية بجميع تصاريفها في اللغة العربية ولسان أهلها عن معاني كثيرة ترجع كلها إلى معاني الخلوص والتحرر من القيود، وعدم الضغط على إرادة الإنسان أو إكراهه على شيء لا يريده، وإخلاصه من الرق والعبودية.

ثانيا: الحرية اصطلاحا: تعددت المذاهب في تعريفها، واختلفت الآراء وتباينت تبيانا شديدا في تحديد مصطلح منضبط للحرية، مع العلم أن مصطلح الحرية غاب من قاموس الفلاسفة المسلمين، ولكنه ظهر في القواميس الاصطلاحية المتأخرة، كالتعريفات، والكليات، وكشف

اصطلاحات الفنون. فالحر في مصطلح الفقهاء مثلا هو (من خلصت ذاته عن شائبة الرق والملك والحرية، الخلاص والحر: الخالص والتحرير، إثبات الحرية: هو الخلوص في الذات عن شائبة الرق وعرفها فقهاء الفقه الدستوري بأنها:(قدرة الفرد على ممارسة أي عمل لا يضر الآخرين). الاختيار لتعليل: ٢٠٠٥م، ٤،١٧. أما مجمع الفقه الإسلامي – في المملكة العربية السعودية – فقد وضع لمفهوم الحرية تعريفا تعود في حقيقته أيضا إلى معناها اللغوي عند الفقهاء فقالوا: الحرية: هي التعبير الطبيعي عن نزوع الذات البشرية إلى الانعتاق من كل المقيدات والمكبلات التي تحول دون تحقيق ذاته وتنمية طاقاته العقلية والنفسية والوجدانية، والحرية حق أساسي طبيعي يتقرر منذ اللحظات الأولى لولادة الإنسان.فالذي يبدو من خلال هذه التعريفات اللغوية والاصلاحية والفقهية أن كلها تعبر عن معنى الحرية الانعتاق من الرق أو أي قيد آخر من شأنه أن يحول دون وصول الإنسان إلى غاياته وأهدافه السامية.

المطلب الرابع الحرية عند الوجوديين ورد الدكتور البوطي لهم

تعتبر الحرية من أهم المواضيع والقضايا التي يتناولها الوجوديون في فلسفتهم، ولهم اهتمام خاص بها، على أنها تعتبر الوجود الإنساني نفسه، ولا يمكن للإنسان أن يحقق وجوده بدون الحرية وقد جعلها بعضهم من أهم مرتكزات فلسفته، ويرى أن الإنسان حر، وله الخق، أن يكون هو هو، وهم يعنون بهذا الكلام(أن الإنسان لا يحقق ماهيته الإنسانية إلا من خلال ممارسته لحريته كاملة غير منقوصة)[٢]. والسؤال الذي يطرح نفسه على الوجوديين هو ماالذي تعنونه بالحرية؟،(هل تقصدون بالحرية امتلاك الإنسان لإرادته عندما يخوض مع بني جنسه في عالم السلوك؟ أم تقصدون بها الرضا والرغبة القلبية إذ تنهض اختيارات الإنسان على أساسها، ولعل فلاسفتنا الوجوديين يسألوننا باستغراب: وهل من فرق بين الإرادة والرضا في الحقيقة إن بين الإرادة والرضا عموما وخصوصا من وجه فقد يريد الإنسان شيئا دون أن يتوفر الرضا القلبي عته، وقد يرتضي الشيء دون أن تتجه إرادته إليه، وقد يريد الشيء وهو يرضاه ويرغب فيه ويقول الدكتور البوطي في سياق الرد عليهم: (فالذي يستسلم لإجراء عملية شاقة في جسمه، اتجهت منه الإرادة إلى ذلك قطعا، ولكنها إرادة عاريةعن الرغبة والرضا كما هو معروف ومحسوس، وهذا الإنسان نفسه إنما يرضيه أن يكون بعيدا عن هذه العملية وآلامها، ولكنه لا يريد هذا الذي يرتضيه نفسه. ولكنه بعد أن يجري العملية ويمر مخاطرها بسلام ويصل إلى آمال العافية من ورائها، يعود إلى داره قرير العين وقد تلاقت لديه حقيقة كل من الإرادة والرضا بما قد تم) ويقول الدكتور البوطي أيضا من خلال رده للوجوديين:(وهكذا يتضح لنا أن إرادتنا ليست ملازمة بشكل مستمر لرغباتنا ورضانا، لذا يجب أن نسأل هؤلاء الذين يقدسون الحرية كل هذا التقديس، ويعدونها جوهر الوجود الإنساني، ماذا تقصدون بالحرية؟، أتقصدون بها أن أن يملك الإنسان إرادته حيال تصرفاته وسلوكه أم تقصدون بها ألا يتصرف إلا على نحو يلذ له ويرضيه؟.إن كانوا يقصدون بالحرية التي يجب أن يمارسها الإنسان إلى أقصى حدودها، ألا يندفع إلى تصرفاته وأعماله إلا بدافع من إرادته الداخلية، فذلك تحصيل لحاصل وتأكيد لأمر واقع، يستوي في ذلك الوجوديون وغيرهم. فكل الناس إنما ينقادون إلى تصرفاتهم وأعمالهم التي يمارسونها بسائق إرادتهم، لا يستثنى منهم إلا من قد صفد بالأغلال وحمل على ما قد يراد منه كرها كالأسرى والمسجونين ونحوهم) . ويقول الدكتور البوطي – رحمه الله تعالى– (ينطبق هذا الوصف على الموظف الملتزم والتاجر الذي يكد في تجارته والعامل الذي يعكف على بيع جهده لغيره، والمتعبد الملازم للسعي في تحقيق مرضاة ربه، والمتسكع الذي يمضي الوقت فيما يروق له من ملاذه ومشتهياته أليسوا جميعا يتصرفون وفق ما تملي عليهم إرادتهم الداخلية، بقطع النظر عن عوامل تلك الإرادات وأسبابها؟ إذن فكلهم يمارسون حريتهم بطبيعة الحال، ودون أن يتوقف ذلك منهم على تلقي الدروس في ذلك من الوجوديين أو غيرهم). أما إن كانوا يقصدون بالحرية الانعتاق من سلطان الضرورات والمصالح التي تفرض نفسها على الإنسان من خارج كيانه، ثم اختيار السلوك بناء على دوافع الرغبة والرضا صافيين من شوائب الحتميات الخارجية، تلك الحتميات التي تشكل العامل الأول والأخير في الفصل بين الإرادة والرضا أمام اختيار الإنسان لمعظم التصرفات، نقول: أما إن كان هذا هو الذي يعنونه بالحرية المقدسة التي يجب ممارستها إلى أقصى حدودها، فلا بد أن نقول لهم على لسان الواقع الذي لا مفر منه ما يلي:(إذن فكونوا قدوة لنا في ممارسة هذه الحرية إلى أقصى حدودها، حتى نتعلم منكم كيفية ممارستها، وفن التمتع بها، فنحذو حذوكم في ذلك). أما إن تكتفوا بدلا عن ذلك بترديد العبارات الضخمة والجمل الطنانة، كقولكم على الإنسان أن يصبح حرا، بل أن يصبح هو الحرية، ينظر: المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: د. البوطي، ٢٠٠٨م، ٢٨٦، دون أن نرى منكم أي درس تطبيقي لكيفية صيرورة الإنسان الحرية ذاتها، فذلك منكم خير مثال على الأحلام الصبيانية المجنحة.ويقول الدكتور البوطي – رحمه الله تعالى– من خلال رده على الوجوديين:(لا يزال الوجوديون، بفريقيهم، يلتزمون، على الرغم من هذا الذي يقولون، قواعد الصحة في طعامهم وشرابهم، ويلتزمون مقتضيات المحافظة على الحياة في تقلباتهم وفصول السنة، ويلتزمون بالشروط التي لا بد منها لتحقيق الرفاه الاقتصادي، ويلتزمون الانضباط بالمناهج

التي لا بد منها للحصول على الزاد الثقافي والعلمي اللذين لا بد منهما لممارسة الحياة المتطورة، ويلتزمون السبل الكفيلة بحماية الذات والمكتسبات من الأعداء والعوادي المختلفة). وهذه الالتزامات كلها لا تعني سوى الانتقاص من مساحة الحرية، بل من جوهرها، خضوعا لسلطان الحتميات والضرورات الخارجية التي لا بد أن تهيمن على الإنسان مادام يبحث لنفسه من أقل شرين لا بد له من اختيار واحد منهما في فجاج هذه الحياة. ويقول الدكتور البوطي- رحمه الله- :(وواضح أن الوجوديين، كغيرهم من صنف الآدميين، بوسعهم أن يتحرروا من سلطان هذه الحتميات الخارجية، وألا يقتطعوا لها من حريتهم المقدسة هذه الضرائب الباهضة، إذا لم يشاؤوا أن يختاروا لأنفسهم أخف الشرين، بل فضلوا حريتهم المطلقة على هذا الاختيار الحتمي المهين، إن بوسعهم أن يسعدوا بهذا التحرر المطلق، ولكن إن هي إلا أيام، حتى تصرعهم طبيعة تلك الحتميات والضرورات الخارجية ويتساقطوا شهداء في معركة الحرية المطلقة) . ويقول أيضا ردا عليهم:(ففي أي دنيا، بل في أي عالم يتم مثل هذا الاختيار، ويتحقق مثل هذه الحرية الطليقة من أي قيد؟، ولست أدري أهذا الذي يقوله الوجوديون وصف لواقع مزعوم، أم هو اقتراح وتوجيه يقدم إلى الإنسان كي يمارس وجوده الإنساني على أساسه، أيا كان الأمر فإنه كلام فارغ عن أي مضمون، فلا واقع للإنسان، أي إنسان كذلك، ولا هو مستعد، أيا كانت نحلته وفلسفته، أن يحقق شيئا من هذا الاقتراح) ومن خلال ما قدمنا من آراء الوجوديين وأفكارهم حول الحرية نستطيع أن نقول إن الوجوديين يرون أن الاختيار البشري عملية ذاتية لأن الأفراد في النهاية يجب أن يمارسوا اختياراتهم بدون تأثير من المعايير الخارجية كالقوانين، وقواعد الأخلاق، أو التقاليد، وهم بذلك أحرار وللباحثين الآخرين رد عليهم من ذلك الجانبولقد تبين لنا من خلال ما ذكرنا أن كلمة الحرية بجميع تصاريفها في اللغة العربية ولسان أهلها تنبئ عن معاني كثيرة ترجع كلها إلى معنى الخلوص والتحرر من القيود، وعدم الضغط على إرادة الإنسان أو إكراهه على شيء لا يريده، إخلاصه من الرق والعبودية.

وفي ختام هذا البحث الذي تكلمنا فيه على الوجودية بكل تفاصيلها والرد على أفكارهم من قبل الدكتور البوطي – رحمه الله تعالى- فقد أكد أن الوجودية تعد من أحدث المذاهب الفلسفية المعاصرة، بنظر أهلها الذين يتبنونها، وأن عوامل نشأتها كانت نتيجة عن حالة القلق العام الذي ساد العالم بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، ونادى أصحاب هذا المذهب بالحرية كشعار لهم فقالوا: إن الحرية هي جوهر الوجود الإنساني، أي لولا وجود الحرية لما كان للإنسانية وجود على الأرض، وأكد أنها نظرية من النظريات الكثيرة التي يحاول أصحابها الدفاع عنها بكل الوسائل. والدكتور البوطي-رحمه الله تعالى- كأي باحث في مثل هذا الشأن أكد أنها نظرية نتيجة عن حالة نفسية، ألا وهي القلق الذي ساور أصحابه وليست اكتشافا علميا قاد إليه العقل والفكر، وإن هذا الاعتراف من أرباب المذهب الوجودي، يكفي لإراحة العقل من النظر فيه، ومع ذلك ناقش أفكارهم بالدليل العقلي والبرهان المنطقي، وبناء على تلك الأدلة العقلية والبراهين المنطقية أنكر جميع دعاويهم التي قدموها لفهم الوجود والحياة، لذا نصح الجميع بالعودة- في موضوع الحرية وضوابطها والوجود والكون- إلى الحل الإسلامي الذي يقدمه للجميع على أنه هو دين الله الحق، ذلك الحل الذي يجعل الإنسان يشعر به متطابقا مع واقعه الإنساني، وعلاقته الدقيقة بالكون والحياة وعلاقته بخالقه ومولاه. وكما أنكر الشيخ البوطي الاعتراف بالوجودية كمذهب فلسفي، لأنها قائمة على مجموعة من الأسس والمقومات الباطلة الواهية التي لا أساس لها في الواقع. كما وتبين لنا من خلال هذا البحث أن الحرية ليست جوهر الوجود المادي والإنساني إنما هي نظرية من النظريات القابلة للطعن والرفض من قبل علماء الإسلام، لأنها نظرية تعارض صريح القرآن والسنة.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه ومنته تكتمل الطاعات وبعد:

فلا بد قبل الفراغ من هذا البحث، يمكن تلخيص أبرز النتائج في النقاط التالية وهي:

١- أن الوجوديين يكفرون بالله ورسله وكتبه، وبكل الغيبيات، وكل ماجاءت من الأديان، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأً، ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمرة، وأنهم يؤمنون إيمانا مطلقا بالوجود الإنساني، ويتخذونه منطلقا لكل فكرة.

٢- وهم يقولون بحرية الإنسان المطلقة، وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأي وجه يريد، دون أن يقيده شيء، وعليه أن يطرح الماضي، وينكر كل القيود، دينية كانت، أم اجتماعية، ثقافية كانت أم سياسية، فلسفية كانت أم منطقية.

٣- أن الوجودية تنقسم إلى شعب، أخطرها وأشدها ضررا ودمارا وفوضوية هي الوجودية الملحدة.

٤- أن الوجودية دعوة لإطلاق عنان الإنسان من كل قيد إلا قيود الشهوات الحسية الدينية، وقتل كل القيم والفضائل السامية، وكل المشاعر الإنسانية النبيلة في نفسه.

٥- أن الوجودية لم تفرز إلا إنسانا أنانيا محطما بائسا متشائما ملحدا، تمنيه بفراديس الحرية وتكبله وتسجنه داخل ذاته.

٦- إن علماء الإسلام على مر العصور منذ نشأتها، رفضوا أفكارها تماما إلى درجة التضاد، بل ويحذر منها لما لها من نتائج خطيرة وتداعيات جسيمة على الإنسان فردا ومجتمعا، ومن هؤلاء العلماء، الدكتور البوطي- رحمه الله تعالى- الذي رد الوجودية بردود علمية، ودلائل منطقية، وبراهين قوية، وذلك من خلال كتبه ومؤلفاته ومحاضراته، لاسيما كتابه المشهور المسمى بـ (المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة)، الذي قل نظيره في هذا المجال.

٧- وتبين من دراستها ونقدها أنها سوقت كل خلق مشين وصفة قبيحة، من الجبن والضعف وتلبية نداء الشهوات والانحلال والخور، وأغفلت وتجاهلت صفات الجدية والجمال والحسن والوجه الآخر الأكمل والأجمل في حياة البشر، والذي ترنوا إليه وتطلبه النفوس الزكية، والعقول النيرة، والفطرة السليمة.

بل وجدنا من منظري هذا الفكر أن الصفات القبيحة والدنيئة تتشابه وتتساوى مع صفات الكمال والحسن والجمال،وهذه مغالطة مصادمة للدين والعقل والمنطق والفطرة السليمة.

٨- وأن الوجودية اتجاه إلحادي يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية من الأديان، وقيمها الأخلاقية، كما أنه أفرز أمورا عديدة منها القلق واليأس نتيجة للإلحاد وعدم الإيمان، وهما من ركائز هذا المذهب.

٩- واتضح كذلك أن الوجودية تناقض جميع الأديان والأعراف، وأن الإسلام بشموليته وعدله، ومراعاته لحقوق الفرد والمجتمع هو السبيل الوحيد للحرية المنضبطة، ومن ثَمَّ السعادة في الدنيا والآخرة.

١٠- أن الوجودية جاءت للاهتمام بالوجود الإنساني وإبرازها لقيمة الوجودي الفردي، وتميزت بمبادئ وهي الاهتمام بمسألة الوجود، بحيث أن الوجود الأول هو الوجود الإنساني، وكذا رفضها للفلسفات التقليدية التي كانت أعطت أولوية للماهية وجعلها سابقة عن الوجود.

هوامش البحث:

[١] – ينظر: هذا والدي: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دارالفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ص ١٨.

[٢]- ينظر: المصدر تفسه ص٢٣.

[٣]- ينظر: هذا والدي: ص ٢٣.

[٤]- المصدر نفسه: ص٦٠.

[٥] – هذا والدي: ص٦٢.

[٦]- البدايات باكورة أعمالي الفكرية: د. محمد سعيد رمضانالبوطي، دار الفكر، ط١، دمشق، ص١٣.

[٦]- المصدر نفسه: ص١٣.

[٧]- ينظر: هذا والدي: ص٥٥، والبدايات: ١٤.

[٦]- البدايات: ص١٤، وهذا والدي: ٥٥.

[٨]- موقع نسيم الشام المأخوذ ١مايو، سنة ٢٠١٦م، ساعة ١٩ :٧.

[٩] – الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن الأثير، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

[١٠] – تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات: ص٦٥.

[١٢]ينظر: الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: وآراءه الاعتقادية، ص٤٥، قصائد في رثاء الوطي: ص٢٦.

[١٣] – بالإضافة إلى عدد مثل هذا العدد أو أكثر عند مفكري العرب والمسلمين، كما بينه الكاتب سلطان بن عبدالرحمن العميري، وإذا أراد أي باحث البحث عن معنى منضبط لمفهوم الحرية سيجد من المعاني ما لا حصر لها، ويصعب عليه أن يحصل على تعريف جامع مانع بشكل دقيق. ينظر: فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها: تأليف: سلطان بن عبدالرحمن العميري، المركز العربي للدراسات الإنسانية، بيروت، سنة ٢٠١٣م، ص١٥.

[١٤]- ينظر :فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، العميري، ٢٠١٣م، ١٥.

[١٥] – ينظر: فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها: العميري، ٢٠١٣م، ١٦.

[١٦]- لسان العرب: ابن منظور، ١٩٩٧م، ٤، ١٨١.

[17]– المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٢٢٥.

[18] – الحريات من القرآن الكريم: الصلابي، ٢٠١٧م، ٩، ١١.

[19]– الحريات من القرآن الكريم: مودود، ٢٠٠٥م، ٩، ١١.

[20]– مجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة، سعودية، العدد١٣، ٢٥٧.

[21]– المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: د. البوطي، ٢٠٠٨م، ٢٨٣.

[22] – العموم والخصوص من وجه: هو أن يصدق كل واحد من الكليين على بعض ما يصدق عليه الآخر، ويفترق كل منهما في شيء آخر، أي يجتمعان في بعض الأفراد، ويفترقان في بعض آخر، كالحيوان والأبيض، فإنه يصدق الحيوان على الأبيض وكذا الأبيض على الحيوان، لكن جزئيا لا كليا، لوجود الحيوان غيرالأبيض كالحيوان الأسود، والأبيض غير الحيوان كالثلج. ينظر: حاشية ملا عبدالله على التهذيب: تأليف: مصطفى الحسيني الدشتي، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، قم، ايران، ط٥، ص٥٥.

[23] – المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص٢٨٤.

[24]– المصدر نفسه:ص ٢٨٤.

[25] – المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص٢٨٤.

[26] – المصدر نفسه: ص٢٨٤، ٢٨٥.

[27]– المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص٢٨٥.

[28]– الوجودية مذهب إنساني: سارتر، سنة١٩٦٤م، ص٢٥.

[29]– المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص٢٨٦.

[30]– من الواضح أن كلمة(الالتزام) التي تتكرر هنا، تعني ضرورة الخضوع لقهر خارجي من شأنه أن يمنع الإنسان من ممارسته حريته بالمعنى الذي يدعو إليه الوجوديون. المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص ٢٨٨.

[31] – المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: ص٢٨٨.

[32]– المصدر نفسه: ص ٢٨٨.

[33] – المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، عواجي، ٢٠٠٦م، ٢، ٨٧٠.

[34] – فالباحث السعودي سليمان الخراشي يري أن سارتر ما أعلن حرية الإنسان إلا ليعلن أن الله غير موجود، لذا قال:(ويرى سارتر أن قوله إن الإنسان حر مرادف لقوله إن الله غير موجود، لأن وجود الإنسان لا يخضع لماهية أو طبيعة محددة، بل هو إمكان مستمر على الإنسان أن يحققه، فليس هناك طبيعة بشرية فرضت من الأزل، وليس هناك تعريف ثابت للإنسان كيف ينبغي أن يكون، بل إن الإنسان يوجد أولا، ثم يظل يخلق ماهيته، بما يختار لنفسه من شعور، فليس الإنسان إلا يختاره لنفسه أن يكون، والمدقق في هذه الآراء الفلسفية لسارتر يلاحظ أنها تقع وراء دوائر ما تقبلها العقول، وما يستقيم مع موازينها، وأفضى البحث سارتر إلى نتائج تناقض حتى تبلغ إلى درجة المحال، واللامعقول، وهذا لينسجم مع فكرته الإلحادية). سارتر وآراؤه في الفلسفة الوجودية: تأليف: الخراشي.وكيف للعقول أن تقبلها وهي تخالف الفطرة الإنسانية، وتخالف موازين العلم والعقل، ونتائجها خيالية بعيدة عن الواقع والحياة، ويمكن القول–أيضا– بأن سارتر قال ما قال عن الحرية والاختيار ليخالف الفيلسوف الوجودي(كيركجورد) الذي يعترف بأن الإنسان أثناء وجوده واختياره يمر بثلاثة مراحل: وهي مرحلة الجمال، ثم مرحلة الأخلاق، ثم مرحلة التدين، أي أن الإنسان يمكن أن يختار أمرا ما لأن الله أمر بذلك، لكن سارتر يرفض هذا الأمر، لأنه ملحد لا يؤمن بوجود الله. ويقول الباحث السعودي: وبعد اطلاعنا على ماسبق أستطيع أن أقول: إن هؤلاء أوجدوا كلاما متهافتا متناقضا يكذب آخره أوله، ويناقض وسطه جميع جوانبه، ولكني فهمت منهم أنهم يريدون أن يقولوا: أننا أحرار، ولا شيء يقيد حريتنا فيما نفعل أو نحجم عنه، بكل بساطة لأننا نحن أبدعنا وكوَّنا ذاتنا وشخصياتنا ووجودنا بعد أن خلقنا الله، ولكن لا نؤمن بوجود الله، وبالتالي لا نؤمن بوجود قيود من عنده تقيد حريتنا، وإنما نحن أبدعنا أنفسنا باختيارنا لأخلاقنا، وهذا لعمري كلام لا يقوله حتى المجانين، كيف يدَّعون بأن الله غير موجود وهم أنفسهم يقولون: الإنسان يصبح حرا بعد أن كان محكوما عليه، ويشرحون معنى محكوم عليه: بأنه لم يخلق ذاته، بل خلقه الله، وبعد أن خلقه صار حرا، فهل يقول هذا الكلام إلا المجانين؟، فهم في البداية يعترفون بأن الله هو الذي أوجد الإنسان في هذا الحياة– أي أن الله موجود–، لذا يرون أن الإنسان محكوم عليه، أي محكوم عليه من قِبَل الله – تعالى– ، ثم بعد ذلك يقولون: ألله غير

موجود وقوانينه وشرائعه التي تقيد حريتنا غير موجودة، وهذا في حقيقته اعتراف منهم بأن لهم وللكون خالقا، ولكن الاستكبار يدفعهم إلى إنكار وجود الله–تعالى–، ولأنهم عندما يشرحون مسألة القيم والأخلاق يقولون: الوجودي يبدع شخصيته أمام الآخرين من خلال إيجاده لمجموعة أخلاقه وقيمه الخيرة، ومعلوم أن الدين هو الذي يدعوا جميع الناس إلى المبادئ والقيم الأخلاقية، وينهاهم عن الشرور والآثام، وهذا ما دفع بالباحث الإسلامي حسن الحياري أثناء مقارنته الفكر الفلسفي الإسلامي بالفلسفات البشرية أن يتوجه إليهم بنصيحته التالية ويقول:(إن الذي ينشد الحقيقة لذاتها ويتفيء بظلالها والسلوك على نورها يجب أن لا يلتفت إلى السبل التي توصل إلى الحقيقة طالما أنه يقصد الوصول إلى الحقيقة، أما الإصرار على سبيل واحد دون غيره في الوصول إلى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو تحقيق غايات معنية تجول في النفس، وهذ هو بعينه التحيز الذي يطمس الحقيقة والسبل المؤدية إليها، ويبدو بوضوح النقص والضعف في العقل البشري عند التبصر في المدارس الفلسفية البشرية حيث التناقض والاختلاف حول أغلب الأمور التي تم بحثها فلسفيا. ينظر: الوجودية مذهب إنساني: ص ١٦، ١٧، ٢٥، ٣٩، والتصور الإسلامي للوجود: تأليف: حسن الحياري، ص٤٠.ويقول أبو جمعة: "ولقد عارض النظرية الوجودية مفكرون غربيون كثيرون, وحصروا أخطارها في عدة نقاط أساسية هي:

١– أنها تجعل الإنسان في عزلة عن الجماعة.

٢– أنها تستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية وتدعو إلى الانحلال.

٣– أنها تبطل الأوامر الإلهية وتنكر القيم الخالدة.

٤– أنها تدعو إلى اليأس المطلق والتشاؤم الكلي, وتدعو إلى هدم الحياة.

٥– أنها دعوة إلى التمرد على الواقع والقيم جميعًا, وترفض كل ما يتصل بالمغيبات والنفس الإنسانية, وتقف عند الإيمان باللحم والدم.

٦– أنها تنكر محصول البشرية من القيم والتجارب, وتدعو إلى أن يبدأ الإنسان من جديد.

٧– تحتقر الدين والعلم والأخلاق.

٨– ليس فيها نقطة واحدة تفتح الطريق أمام التقدُّم أو بناء الحياة, أو العمل من أجل مجتمع أفضل.

٩– هي فلسفة موغلة في الفردية تنكر الحقيقة الموضوعية للواقع الإنساني.

١٠– الأخلاق الوجودية هي أخلاق: المرض، القلق، القنوط، التشاؤم، الأنانية المفرطة. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، عواجي،٢٠٠٦م، ٢، ص٨٧٠.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم:

١ – اضطرابات الشخصية أنماطها وقياسها: سوسن شاكر، دار صفاء، عمان، الأردن، ط١ سنة ٢٠٠٨م.

٢– البدايات باكورة أعمالي الفكرية: د. البوطي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

٣– تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات.

٤– التصور الإسلامي للوجود: حسن الحياري.

٥– الحريات من القرآن الكريم: على محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، سنة ٢٠١٧م.

موقع نسيم الشام المأخوذ ١مايو، سنة ٢٠١٦م، ساعة ١٩ :٧.

٦– حاشية ملا عبدالله على التهذيب: مصطفى الحسيني الدشتي، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، قم، ايران، ط٥.

٧– الاختيار لتعليل: عبدالله بن محمود مودود، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨– الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن الأثير، الرياض، ٢٠٠٠م.

٩– سارتر وآراؤه في الفلسفة الوجودية: الخراشي.

١٠– شخصيات استوقفتنى: د.البوطي،دار الفكر، دمشق، ط٧، ٢٠٠٨م.

١١– قصائد في رثاء البوطي: سمير، دار الفكر، سنة ٢٠٠٥م.

١٢– لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٩٩٧م.

١٣–المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي: دار الفكر، دمشق، سنة٢٠٠٨م.

١٤– المذاهب الفكرية المعاصرة: د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية–جدة

ط١،سنة١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م

١٥– المفردات في غريب القرآن: أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، بيروت، سنة١٤١٢هـ.

١٦– هذا والدي: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا، سنة١٩٩٥م.

ثانيا: الرسائل الجامعية:

–الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: وآراءه الاعتقادية: إعداد الطالب: سمير روبين عبد الحليم الجعبري، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة الخليل، سنة ٢٠١٥.

ثالثا: المجلات والبحوث:

١– فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتهاوأبعادهاوحدودها: سلطان بن عبدالرحمن العميري، المركز العربي للدراسات الإنسانية، بيروت، سنة٢٠١٣م، ص١٥.

٢– محجلة مجمع الفقه الإسلامي،جدة، سعودية، العدد١٣.